# الفصل الخامس

## الامومة

كلمة بسيطة في لفظها ومبناها ، عظيمة في رموزهـــا ومعناها . في القاموس ، هي صفة الام . وفي سفر الحياة هي رمز التضحيـة والاخلاص . هي عنـوان فخر المرأة ، وشفيعة العائلة . هي بذرة الخلود في كرم الوجود . قوتها لا تضعف ، وسلطانها لا يزول . عزّزتها الشرائع وقدستها الاديان ، وضفرت على هامتها اكاليل المجد والفخار .قدسوها في العصور الاولى ، في الجاهلية ، بين قبائل المتوحشين . ويقدسونها اليوم في اعصر العلم والتمدن والنور ، بالرغم من قيود اصطنعتها بعض شرائع ربطوها بالشرف واناطوا تشريعها وتفسيرها بالمتفقهين .

وقد تطور التشريع بما يتعلق بالامومـة . ففي الاعصر الاولى كانت هي اساس القرابة والعائلة ، عندما كان الزواج

مشتركاً بين الناس . فالمرأة كانت تتزوج باكثر من رجل واحد ، فيتعذر اذ ذاك عليها معرفة الاب . فمتى ارادت تعيين اب لمولودها ، اختارته من بين ازواجها من كان احبهم الى قلبها ، او من كان اكثرهم شبهاً لابنها . ومن هنا نشأت اهمية الامومة ، وترؤس الأم للبيئة . وقد كان الولد يُعرف باسم امه ، وهي تحتفظ به ، وتربيه ، ولها عليه حقوق يحرم منها الاب المختار .

وقد وجدت هذه العادة ، عادة تعدد الازواج والزواج المشترك ، في جاهلية العرب ، نتيجة لتناقص عدد البنات المسبب عن عادة الوأد . ثم زالت على اثر نشر الرسالة الاسلامية التي حرّمت وأد البنات وتوعدت المغايرين بالقصاص الى يوم القيامة .

وهكذا تطورت العادات بتطور المدنيات ، واصبح الزواج المشترك عادة ممقوتة ومحرّمة ، اللهم الا في بعض قبائل همجية ، من قبائل جزر الباسيفيك او مجاهل افريقيا.

ومنذ ان صار الزواج شركة « محدودة » بين رجل وامرأة ، ولم يعد شركة « مغفلة » او « مساهمة » كما كان في العصور الهمجية ، اصبح الولد وديعة في عهدة ابيه وامه.

ولقد غالت بعض الشرائع في تطرفها ، اذ اعطت الأبوّة

حقوقاً اوفر من حقوق الامومة . وهـــذا ايضاً تفقّه في الشرع لا تجيزه الحقيقة الطبيعية. فالامومة هي من العلاقتين، الوحيدة التي لا يمازجها الشك . والابوّة اذا اثبتتها الشرائع ، ففي احيان ، مهما قلّت ، قد لا تثبتها الوقائع . جورٌ آخر ينزله المجتمـع بالمرأة .

ما لنا وللابحاث الشرعية . فقد تضطرنا هذه الى خوض موضوع لا قِبَل لنا به في هذا الكتاب . ولننظر الى الامومة من وجهتها العامّة وعلاقتها بالنسل وحفظ الجنس .

■

الامومة أشرف حلقة في حياة المرأة ، واقدس دورٍ من ادوارها . اذا وصلت الابنة في ريعان صباها الى اوج عزّها من حيث الفتوة والجمـــال ، فهي في امومتها تتبوأ ذرى مجدها من حيث الفضل والتضحية وتربيـة البنين . هي ما تصبو اليه الانثى ، وهي غاية الوجود في حياتها . لا توجد امرأة تريد ان تحرم من لذتها ، وان وجدت ، وقد يوجد النادر الشاذ ، فهيهات ان تكون هذه خالية من خللٍ في طبيعتها او في عقليتها . وما شذّ مراساً لا يؤخذ قياساً .

والامومة في عرفهـا العام ، لا تقتصر عـلى دور المرأة بعد ان تلد حين تصبح امّاً باللفظ والمعنى . بل هي تطلق

على حلقة اوسع من حياتها ، فتبتدىء ساعة تحبل بالجنين اذ هي تصبح عندئذ امّاً بكل ما في التعبير من معنى . هي أم لجنينها ، شأنها في الامومة ، شأن أم الرضيع ، او الطفل ، او الفتى . وعلى هذا سيتناول بحثنا مختلف درجات الامومة ، من الحبل ، الى الولادة ، الى النفاس ، الى تربية الطفل ، وتعهد البنين .

## الحبل

مدته عشرة اشهر قمرية ، او تسعة اشهر شمسيّة ، او مدة تراوح بين ٢٧٠ — ٢٨٠ يوماً . وقد يصعب تحديد مدة الحبل ، وبالتالي تاريخ الولادة ، وذلك لاختلاف الدورة الحيضية في النساء . فاذا زادت هذه او نقصت عن المعدّل القانوني ، وهو ثمانية وعشرون يوماً ، كان للزيادة او النقصان تأثيرٌ على مدة الحبل ، فالمرأة التي تزيد دورتها الحيضية عن هذا المعدل ينتظر ان تطول مدة حبلها بضعة ايام وبالعكس . ومما يزيد في صعوبة تحديد مدة الحبل ، هو عدم التيقن من موعد وقوعه . اما القاعدة التقريبية التي يعتمد عليها في معرفة تاريخ الولادة ، فهي ان يضاف سبعة ايام على تاريخ آخر حيض للمرأة ، ثم يعدّ تسعة اشهر شمسية ، فيعرف على وجه التقريب يوم الولادة .

لنأخذ مثلاً ان امرأة حاضت في ٥ كانون الثاني . فاذا أضفنا سبعة ايام ، وهي مدة الحيض ، على هذا التاريخ وعددنا تسعة اشهر يكون وقوع الولادة في ١٢ تشرين الاول. هذه القاعدة غير قطعية ولكنها الاقرب الى الواقع .

## العناية بالحامل

ليس الحبل مرضاً كما قد يتوهم البعض ، انما هو حدثٌ فيزيولوجي في حياة المرأة . فالغلوّ في الاهتمام بالحامل لا مبرّر له . ان الحامل ليست مريضة ، ولا تحتاج الى الادوية والعلاجات ، اللهمّ اذا لم يكن هنالك من حالة مرَضية مرافقة الحبل . غير ان المرأة في اثناء حملها احوج للعناية بذاتها منها وهي غير حامل ، وباعتنائها بذاتها هي تعتني بالجنين في احشائها فيكتسب هذا صحة اذا قويت صحة الأم ويسقم بسقمها . اذاً على الحامل واجبات تجاه نفسها وتجاه جنينها يجب ان تعرفها وتنتبه اليها .

تبالغ « نساء الذوات » في ارتياد الراحة اثناء الحبل ، وتبالغ « نساء الصعاليك » في تحمّل التعب والمشاقّ . ولو اعتدلت الاثنتان لكان في ذلك فائدة لكلتيهما . هذه امرأة من الفئة الاولى لا تكاد تدرك انها حامل حتى تأوي الى

غرفتها وتأخذ من سريرها حليفاً لها . وقاية شاذة من خطرٍ وهميّ تحدثها عنه الغيورات الفضوليات ، فتحرم بذلك نفسها من الهواء الطلق والشمس المنعشة ، وبالتالي تحرم جنينها من ان يربو في جوٍّ صحّي . ان الحامل في بدء حبلها يقتضي لها بعض الراحة ويجب ان تمتنع عن الشاق من الاعمال ، ولكن الامتناع عن المشاق شيء ، والاستسلام للخمول والكسل شيء آخر . فهي تستطيع ان تثابر على منهاج معيشتها بدون اجهاد ، وكل ما زاد على ذلك فهو مبالغة غير جائزة ، ان لم تكن بمعرفة الطبيب واشارته .

ثم ان الحامل يجب ان تعنى باعضاء جسدها كافة وبوظيفة كل عضو منها ، فلا تتغاضى عن تكاسل وظائف الاجهزة الجسدية . فالامساك عرض غير محمود يجب مقاومته بالمأكولات المرطبة الخضرية والرياضة المعتدلة . واذا قصرت هذه عن الايفاء بالحاجة لا بأس من استعمال المليّنات الخفيفة لتنظيف الجهاز الهضمي من افرازات قد تدخل في جسم الحامل سموماً تؤثر على صحتها وتعلّ جنينها .

ولا اعلم لماذا تمتنع الحوامل عن الاستحمام ، ظناً منهن — والظن خطأ — ان الاستحمام يسبب الاجهاض ، مع ان الاستحمام براءٌ من هذه التهمة . فكل ما يجب على الحامل

ان تتّقيه هو الحمام الحار المعروف بالحمام التركي . اما الاستحمام العادي الذي ينبه الجسم واعضاءه فهو ليس فقط غير ضارّ ولكنه ضروري جداً .

وعلى الحامل ان تروّض جسمها وتجتنب الخمول خصوصاً في الاشهر الاخيرة من حبلها . فالرياضة والتمرين الجسدي يساعدان على تسيير وظائف اعضاء الجسم في سبيل سويّ ، والحامل الكسول الخاملة المتدلّلة كثيراً ما تتصعب ولادتها ، واصوب الشواهد على ذلك هو ما نراه يومياً في تزايد نسبة الولادات الصعبة في « نساء الذوات » المترفهات ونقصها في العاملات الفقيرات .

## طعام الحامل

ولقد طالما اعتقد الناس انه يقتضي للحامل قدر من الطعام اكثر مما يقتضي لغيرها ، وان طعامها يجب ان يكون من النوع الكثير الغذاء كاللحوم والمآكل الآزوتية ، بحجة ان الحامل عليها تغذية نفسها وتغذية جنينها . انه لاعتقادٌ باطل. فالمرأة لا يلزمها من الطعام وهي حامل اكثر مما يلزمها منه وهي غير حامل ، كي لا ترهق جهازها الهضمي والكلوي فيتسبب عن هذا الارهاق ما يسمونه تسمم الحبالى . فالحبل

بذاته ضاغط قوي على اعضاء الجسم الحيوية كالقلب والكبد والكلية . وهذه الاعضاء ، في حالة الحبل ، ليست بحالة تمكنها من القيام بالعمل الذي تقتضيه المآكل الغنيّة ، لا سيما في القسم الاخير من الحبل . فالاعتماد على المآكل التي يسهل هضمها ويكثر غذاؤها هو ما يجب ان تعنى به الحامل كالخضر ، والفاكهة ، والالبان ، مع الاعتدال باللحوم والبقول . وبرأيي انه يستحسن ان تختار الحامل يوماً من ايام الاسبوع تكتفي فيه بأكل الخضر والفاكهة واللبن ، فتعطي اجهزتها الحيوية فرصة للراحة النوعية وتتجنب اعراض الزلال البولي والتسمم التي تحدث احياناً للحامل والمولدة وتلقي الرعب في قلبها وقلب الطبيب المولد ايضاً .

## الامراض التي قد تصيب الحامل

ما من مرضٍ ينتاب المرأة وهي غير حامل الا ويجوز ان ينتابها وهي حامل . غير ان تأثير الامراض على الثانية يختلف عن تأثيرها على الاولى ، اذ ان الحبل يخفف من قوى المناعة فيها . والامراض المختلفة لها تأثير خاص على الجنين. فالحادة منها كالحميات والتسممات والامراض العفنة كثيراً ما تقتل الجنين في الرحم أو تهيج الرحم لقذفه منها . فكلا الحالين ينتهي بالاجهاض ، وهذا بدوره يؤثر في سير المرض

اذ يزيده قوة وخطراً ويفتح المجال لانتشار السموم الموجودة او الكامنة . ولكن قد يوجد بعض حالات يكون فيها الاجهاض سبباً لتحسن حالة المريضة، وذلك عندما يكون الحبل مغذياً للحالة المرَضية الموجودة .

اما الامراض المزمنة ، كأمراض الكلى والقلب والكبد والرئتين ، فهذه تأخذ في إبان الحبل سيراً اسرع واشد مما لو لم يكن هناك حبل .

وهناك امراض خاصة بالحبل ، كالبول الزلالي والتهاب حوض الكليتين والوحم وبعض حالات عصبية . وسيأتي البحث عن الوحم والبول الزلالي على حدة لكثرة شيوعهما في الحوامل ، واختلاف وجهات النظر اليهما .

اما معالجة الحامل التي تصاب بمرضٍ ما فهي من حيث الاساس لا تختلف عن معالجة رفيقتها غير الحامل . انما هناك حالات يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار ، كالمحافظة على الجنين والنظر الى حالة الاعضاء الرئيسية في المريضة . ولذلك يجب اشراك الطبيب المولّد مع الطبيب المعالج . وعلى ذكر معالجة الحوامل ارى من المناسب ان اقول كلمة خاصة عن استعمال « الكينا » في الحبل ازالةً للتهمة التي يلحقها الناس بهذا العلاج وهو براء منها .

اعتقاد يكاد يكون عاماً بين الناس ، انه لا يجوز للحامل ان تأخذ الكينا . وهذا المعتقد – كما تفهمه الاكثرية – فاسد ، وهو ناتج عن كون الكينا من الادوية التي تقلّص الرحم . ولكن لا بد من ايضاح هذه النقطة .

ان الكينا لا تقلّص رحماً ساكنة هادئة ، اللهمّ متى اعطيت بجرعات طبية . وما ضرر الجرعات المبالغ بها الا من قبيل الضرر الذي يحدثه كثير من الادوية والعقاقير متى اخذت بجرعات تفوق المعدّل الموصوف ، غير ان الكينا تزيد في تقلّصات العضل الرحمي متى كان هذا موجوداً ، اما بحالة الولادة او بحالة الاجهاض ، فاذا اعطيت الكينا اثناء المخاض كانت سبباً لتقويته واسراعه ، ولكن الكينا تعجز عن اثارة التقلصات . وعلى هذا متى اصيبت الحامل بمرض يستلزم استعمال هذا العلاج الفعّال كالملاريا ، فيجب اعطاؤها اياها بجرعات كافية لتوقيف الحمّى . ولقد طالما اعطيناها بكميات كبيرة عن طريق المعدة او بواسطة الحقن العضلية ولم ينتج عنها الا الخير للمصابة . ولو كانت الكينا مضرة للحبل ، فماذا تكون حالة الحوامل في الاقطار التي تكثر فيها حمّى الملاريا ؟ اتترك المرأة فريسة للمرض تقاسي عذابه واخطاره ، بينما نحن نعلم ان حمى الملاريا لا تشفى

بدون مستحضرات الكينا ؟ ولكن اليك سبب الخطأ في هذا المعتقد :

ان الملاريا نفسها اذا اشتدت تسبب الاجهاض ، بل هي من اهم مسبباته . فاذا استعملت المريضة الحامل جرعات من الكينا وحصل الاجهاض ، عفوا عن المجرم الحقيقي ، وهو الحمى ، واتهموا الكينا المسكينة بالجريمة ، وقد تقوم القيامة على الطبيب المعالج ، فينسب اليه الجهل والى الدواء الضرر.

وهكذا نرى انه حتى في الحقل الفني والطبي يتعذب العدل ، ويتململ الحق ، والجهل ، دائماً الجهل ، اساس المظالم كلها في العالم العلمي كما هو في العالم الاجتماعي والسياسي والادبي .

## الوحم

هو تعبير يشمل الاعراض غير الطبيعية التي تعتور الحامل في الاشهر الثلاثة او الاربعة الاولى من الحبل . وقد يختلف الوحم في الحوامل . فمنهن من يكون معهن خفيفاً ، ومنهن من يقاسين العذاب من شدة وطأته . فالوحم الخفيف نادراً ما تنجو منه حامل ، وهذا لا يستلزم معالجة قط . اما النوع الذي يحتاج الى معالجة فهو بنسبة عشرة بالمائة . وقد

يوجد نوعٌ خبيث من الوحم ، وهو ما يتطلب اسقاط الجنين ولكنه نادر جداً .

والوحم ، في حقيقته ، تسمم يصيب الأم من جنينها . فالجنين يأخذ من امه غذاءه ويعطيها من افرازاته وسمومه . وقد تكثر اعراض الوحم او تخف بالنسبة لوفرة هذه السموم او قلتها . ولهذا نرى ان الحامل بتوأمين تقاسي من حبلها اكثر من الحامل بجنين واحد .

ثم ان للمؤثرات العقلية والفكرية تأثيراً كبيراً على الوحم . فالنساء العصبيات اكثر تعرضاً للوحم . وقد يكون الفكر وحده سبباً له . خذ مثلاً امرأة ينقطع عنها الحيض مدة فتظن انها حامل ، وتشعر باعراض وحمية ، كالقيء واشتهاء غريب لبعض المأكولات وكره لغيرها ، لا سيما اذا كانت هذه المرأة تشكو العقم ، ثم لا تلبث ان تحيض فتعرف انها غير حامل ، فتزول اعراضها كلها .

وقد تطرّف بعض الاطباء فنسبوا الوحم الى تأثيرات فكرية وحسب . غير ان هذه النظرية مبالغ بها . فاذا كان الفكر له تأثير محسوس فهو ليس بالمؤثر الوحيد .

يدوم الوحم ثلاثة اشهر . وقد يدوم الى الشهر الرابع ، ثم

ينتهي . ذلك لان الخلاص ( المشيمة ) يكون نموّها قد اكتمل واصبحت بحالة تمكنها من القيام بوظيفتها المتعلقة بتصفية السموم التي يفرزها الجنين . ولهذا كلما اقترب اكتمال نمو الخلاص خف الوحم الى ان يبطل تماماً . اما التسمّمات التي تحصل للحامل في القسم الثاني والثالث من الحبل فهي ليست وحماً . فاسبابها غير اسبابه ، وشأنها غير شأنه .

اما علاج الوحم ، فكثير وقليل في وقت واحد. كثير لان الاطباء يأتون كل يوم بعلاج ينسبون له بعض الفائدة . ولكن الحقيقة هي ان العلاج الاكيد غير موجود . فما يفيد في حادثة قد لا يفيد في غيرها . فالوقاية في المأكولات والهواء الطلق خير علاج . اما المعالجات العقاقيرية فكلها اعراضية . وقد ينفع مثلاً ماء فيشي ومسكنات المعدة ، وفي حال هبوط الضغط الشرياني تعطى كميات قليلة من محلول الادرينالين . على ان استعمال خلاصة الجسم الاصفر نافع في بعض الحالات. وكذلك الانسولين والفيتامين (ث) وهلمجرا.

## البول الزلالي

كثيراً ما يحدث للحامل زلال في البول . وهذا

العارض قد لا يكون خطراً عليها ، ولكنه قد يأتي باخطار كثيرة . ولذلك يجب الانتباه الدقيق لدن ظهوره ولو بكميات زهيدة .

ان الحبل بطبيعته ضاغط على اعضاء الجسم الحيوية كلها ، وبالأخص على الكليتين ، وخصوصاً في الاشهر الاخيرة . واول ما يظهر ذلك بالبول الزلالي . فمن الضروري اذاً ان يفحص بول الحامل كيماوياً من آن الى آخر . واذا تبين وجود زلال في البول وجب الفحص كل اسبوعين او كل اسبوع او اقل . فيعمد الى معالجة الحالة بالوقاية من المأكولات الآزوتية واستبدالها بالخضر والفاكهة والحليب . وبالنسبة الى كمية الزلال وظهور اسطوانات كلوية بالفحص المجهري تزيد الاحتياطات او تخف .

ويقسم البول الزلالي في الحامل الى قسمين : منه ما كان عرضاً موقتاً ، وهو يزول بزوال الحبل . ومنه ما يستمر بعد الولادة بحيث ان التأثيرات التي نزلت بالكلى مدة الحبل اقوى من ان تزول بزواله . ولكن مهما كانت كمية الزلال قليلة ، فيجب ألاّ يهمل امرها خوفاً من استفحال الضرر الذي قد يميت الجنين ويسبب الاجهاض وتسمّم الحبالى المعروف « بالاكلامبسي » .

وافضل طريقة لتجنب هذه الاعراض هو ان يعمد الى توقية الحامل من المأكولات الآزوتية والاعتماد على المأكولات الخضرية القليلة الاجهاد للكليتين . وانا في اثناء ممارستي الحرفيّة اوصي الحوامل ان ينقطعن الى الفاكهة والحليب مدة اربع وعشرين ساعة في الاسبوع فتعطى الكليتان راحة نوعية . وانا استطيع التأكيد اني منذ اتبعت هذه الخطة رأيت من نتائجها ما يزيدني تمسكاً بها . هي الراحة للاعضاء المتعبة ، ناموس المعالجة في علم الصحة والطب .

## تأثير الحبل على الاسنان

ان للحبل تأثيراً خاصاً على الاسنان . فهو يعرض اللثة للاحتقانات والاوجاع والالتهابات كما يعرض الاسنان للنخر والحافور . وسبب ذلك يرجع الى كون الحبل يزيد في افراز اللعاب الحمضيّ الذي يضعف غشاء الاسنان الخارجي فيزداد تعرّضها للمؤثرات الخارجية . وكذلك في مدة الحبل تنقص مغذيات الاسنان التي يقدمها الجسم لتوفيرها للجنين ، فتضعف مناعة الاسنان وتكثر امراضها . لهذه الاسباب كلها يقتضي للحامل عناية خاصة بنظافة اسنانها ولثتها . ومتى حصل النخر والتهاب اللثة او غير ذلك من

امراض الاسنان فيجب معالجة هذه الحالات على يد طبيب الاسنان بألطف الطرق . اما ما تعتقده العامة من ان خلع الاسنان غير جائز في اثناء الحبل فهو من باب المبالغة اذ ان الخلع قد يكون اضطرارياً لمنع تسرب السموم المتجمعة تحت السن المصابة وتأثيرها في الجنين . على ان كل هذه الحالات يجب ان يتعاطاها طبيب اسنان قانوني مشتركاً بالرأي مع الطبيب المولّد .

## الحبل والبشرة

كثيراً ما يحلّ ببشرة الحامل بعض التشويه والكلف . وما الكلف الا عارض من اعراض التسمم الجنيني كالوحم . ومن الحكمة ان لا يمسّ بعلاج قط ، اذ انه في الغالب يزول بعد الوضع والنفاس . ولا صحة لما تعتقده العامّة من ان الكلف يدل على ان الجنين ذكر . هو معتقد خرافي شأن كثير من المعتقدات .

وقبل ان اختم البحث في موضوع الحبل اقدم للحامل هذه الوصايا العشر التي تنيرها في هذه المرحلة الهامة من مراحل حياتها .

الوصية الاولى : الغذاء . على الحامل الا تفرط في الأكل ،

وان تجتنب الاكثار من اللحوم والبقول والكحول ، وتعوض عنها بالحليب والفاكهة والخضر بكميات كافية ، خصوصاً في الثلث الاخير من الحبل .

الوصية الثانية : اللباس . يجب ان يكون مريحاً لا يضغط على الصدر والجهاز التنفسي . ويستحسن التمنطق بزنار بطني خاص للحبل . ولا يُرغب في الحذاء ذي الكعب العالي .

الوصية الثالثة : الرياضة واجبة اثناء الحبل لا سيما في النصف الثاني منه شرط الا تخرج عن حد الاعتدال . فالكسل والخمول يضعفان مناعة الأم والجنين ، ويزيدان في تعسر الولادة .

الوصية الرابعة : على الحامل ان تعطي جسمها قسطاً من راحة النوم . ولتحذر من السهر الى ساعات متأخرة من الليل . ولتجتنب سهرات الرقص وليالي اللهو والمقامرة ولو لم تشترك بها .

الوصية الخامسة : بالرغم من ان الحامل تستطيع ان تشتغل في الاعمال العقلية غير ان الاجهاد في هذه

الناحيـة لا يخلو من الضرر ، اذ يقلل المواد الغذائيـة لتقوية الجنـين ، ولا سـيما المواد الفوسفورية . ولتجتنب نكد العيش ، ولتبقَ فرحة مرحـة . بذلك تزرع في جنينهـا بذور الخلق الرضيّ .

الوصية السادسة : على الحامل ان تساعد في اخراج سموم الجسم من مخارجه الطبيعيـة ، فتجتنب قبض الامعاء وقلة الادرار البولي ، ولا تهمل الاستحمام.

الوصية السابعة : لتصم اذنيها عن سماع النصائح والتعلـيمات التي تتطوع بعض النساء لاتحافها بها ، اذ طالما كانت هذه النصائح – بالرغم من حسن النية – مضللة وخاطئة ومضرة .

الوصية الثامنة : لترجع الحامل الى طبيبها لدى اول طارىء على صحتها ، فاما ان يعالجها بنفسه او بالاشتراك مع اختصاصي بالحالة الطارئة .

الوصية التاسعة : على الحامل ان تعايَن من قبل طبيبهـا من وقت الى آخر حتى في الحالات الطبيعية ، وهي اول من يجب ان يأخذ بالحكمة القائلة : درهم

وقاية خير من قنطار علاج .

الوصية العاشرة : الحامل لجنينها هي ام لمولود قد يأتي منه لأمه وامته وللبشرية جمعاء خير عميم . فلتعن به في احشائها ولتحرص عليه . فكل ما فيه من فضل عنايتها .

## الولادة

الولادة حادث فزيولوجي في حياة المرأة ، ولكنه حادث له من الخطورة اهمية كبرى . هو حادث في كثير من الاحيان ، بل بالاحرى في اكثر الاحيان ، يمرّ بسلام وامان ، دون ان يوقع بالمرأة ضرراً ما . حادث مبارك ، باركته العناية ، وأهّلت المرأة لاحتماله والصبر على اوجاعه وآلامه . غير انه قد ينقلب في بعض الاوقات الى خطر غير قليل ، والخطر عندئذٍ سريعٌ ومخيفٌ . واسرع الاخطار اخطار الولادة ، اذ هي لا تتحمل التطويل والتعليل . اخطار تستلزم السرعة في العمل على قدر السرعة في الخطر ، وتستلزم مع الاسراع برودة في الدم دون برودة في الحركة من قبل الطبيب المولّد . تباركت العناية التي جعلت هذه الاخطار نادرة ، فحفظت النسل من الانقراض ، وحافظت

على الكون من الخراب والدمار .

واني اجيز لنفسي ان اقيس تقدم الامم ودرجة رقيها الى ما يعتمده افرادها وجماعاتها وحكوماتها من وسائل الاهتمام بالمولدة ، هذه التي تحمل في احشائها طفلاً هو بسمة الحياة وامل المجتمع. فبينما كانت الأم في العصور الاولى للتاريخ تترك وشأنها لتسلم او تموت مع طفلها ، او تسلّم لعناية الدجّالين من مستنزلي الارواح والمشعوذين ، اخذ العالم اليوم يوجه اليها عناية محسوسة ، هي بالحقيقة دليل تقدمه وعمرانه . هذا اذا استثنينا بعض قبائل وحشية وبلدان متأخرة لا تزال تنكر على الام حقها من العناية الواجبة .

واذا القينا نظرة على عملية الولادة في التاريخ تبين لنا كيف تطور النظر اليها في مختلف الاعصر والشعوب.

كان المصريون القدماء ، ثم اليونان والرومان ، يعيرون المولدة اهتماماً خاصاً . فكانت القابلة تقوم بهذه المهمة . ومع ان القابلة في تلك الازمنة لم تكن حائزة على الاهليات التي تمتاز بها زميلتها العصرية ، غير انها كانت اكثر خبرة من غيرها من النساء . فقد كان يشترط فيها ان تكون امرأة متقدمة في السنّ ، وان تكون متزوجة ووالدة . وكانت هذه ، عندما تعترضها الصعوبات في عملها ، ترجع الى الكهان

الذين كانوا يتعاطون في جملة وظائفهم شيئاً من الطبابة حتى الولادة . وقد كان اولئك يمارسون مهنتهم هذه على شكلين : الشكل الاول قائم على ترديد الصلوات وتنظيم الشعوذات . والشكل الثاني قائم على الطبابة العملية ، اذ كان مفروضاً على الكاهن ان يكون واقفاً على شيء من العلوم الصحية ، فيضيف معلوماته هذه الى ما يستنزله من البركات .

وكانت وظائف القابلة متعددة في العصر اليوناني . هي تستقبل الطفل ، ثم تحمله بين يديها وتقدمه الى ابيه ليعترف به ابناً شرعياً اذا رغب بذلك ، كما يتوجب عليها ان تأخذه وتلقيه على قمة جبل ، اذا ابى ابوه الاعتراف به ، فيترك هناك طعمة للجوع والبرد . فاذا مرّ من شاء ان يأخذه ويحتفظ به سلم من الموت ، والا زهقت روحه الطاهرة البريئة .

وكانت القابلة ، اثناء قيامها بوظيفتها ، تنشد الاناشيد المقدسة ، مما يساعد في اعتقاد الناس على سير الولادة . ولا تزال هذه العادة متبعة بين طبقات من العامة عند اليهود اذ تجتمع النسوة حول الماخضة وتنشد الاناشيد بينما المسكينة تتألم وتنوح .

وقد امتاز اليونان في عصرهم الذهبي بكل ما يتعلق بالعلم

والحصة والطب والولادة . وكان ابوقراط ، ابو الطب ، صاحب الفضل الاكبر في نشر هذه التعاليم . وبالرغم من ان ابوقراط عاش في الجيل الخامس قبل المسيح ، فقد بقيت تعاليمه اساساً لعلم الطب الى ايامنا هذه . وما القَسم الذي يقسم عليه الطبيب عند نيله الشهادة الا دليل ناطق على ابوّة ابوقراط للطب . وهذا القَسم لا يزال يسمّى الى الآن : « القَسم الابوقراطي » .

لقد حدّد ابوقراط مهمة القابلة ، وعرّف اليها صلاحياتها وواجباتها ، وعلّمها كيف يجب ان تقترب الى الماخضة ، وما يجب ان تهيئه من وسائل التنظيف والغسيل ، وما يقتضي ان تتبعه من النظافة في عملها ، من غسل يديها وتقليم اظافرها وهلمجرّا . ثم اوجب عليها الاستعانة بطبيب عند الحاجة اليه ، بعد ان كان الطبيب الرجل ممنوعاً عن الدخول على المولدة ، منعاً للعار الذي يلحق به وبها . اما الكاهن فقد كان يجوز له ما لا يجوز لغيره من الرجال ، وذلك لعقيدة اسطورية من ان الكهّان معدومو الغريزة الجنسية . . اعتقاد طالما كان ، ولا يزال في بعض البيئات العامة الجاهلة ، سبباً لارتكاب اعظم الموبقات .

ثم اخذ الرومان عن اليونان تعاليمهم ومشوا عليها على

رغم كرههم للحضارة اليونانية وسعيهم لافنائها او على الاقل « لرومنتها » .

ولكن مع انهيار الحضارة اليونانية والرومانية ، ودخول القرون السوداء المعروفة بالقرون الوسطى ، سيطرت الروحانية على السلطات ، فطمست وابادت كل ما كان من شأنه العناية والاهتمام بالمولدة . ذلك لان السلطات الروحية اعتبرت الولادة وما يرافقها من العذاب والآلام كفّارة عن الخطيئة الاولى التي ارتكبتها حواء كما جاء في سفر التكوين والاسطورة التكوينية . وعلى هذا كانت المولدة تترك لتقاسي اشد العذابات وشر الاخطار دون ان يؤتى لها بمساعدة . وسيّان لارباب الدين في ذلك الزمن موت الأم وحياتها ما دامت ، في زعمهم ، في الخطيئة حبلت . وسيّان ولد الطفل حيّاً او ميتاً . كل ما كان يهمهم من الامر ان يعمّدوا الطفل قبل ان يموت في رحم امّه . وقد اخترعوا لهذه الغاية آلة يدخلونها الى الرحم ، يرشّون بواسطتها الطفل بمائهم المقدّس ، ثم يتركونه مطمئنين الى انهم صبغوه مسيحيّاً . اما موته وحياته فهي مسألة لا تستحق اهتمامهم لا بقليل ولا بكثير .

هو الجهل الذي كان يتمرّغ به القوم في تلك القرون ،

والذي كانت تغذيه السلطات الروحية احتفاظاً بسيطرتها . هو الجهل الذي كان الناس يتخبطون به فيريهم في رجال الدين اسياداً معصومين عن الاخطاء ، يجب الانقياد الى تعاليمهم واحكامهم ، وما كانت تعاليمهم سوى شعوذات وخرافات ينشرونها على الناس ليبقى اولئك مغمضين الاعين عن حقائق الحياة ومكنونات الطبيعة ، لا يؤمنون بالعلم إلا اذا كان من مدرستهم ، وما مدرستهم إلا معمل الخرافات والمعتقدات وما يصنفونه فيها على لسان القديسين والقديسات. هو الجهل الذي حفظ للسلطة الروحية سيطرة مطلقة في تلك القرون المظلمة ، فحكمت وجارت واستبدت ، وارتكبت افظع الجرائم باسم الروح .

طال عصر القرون الوسطى ، وبقيت الأم المولدة عرضة للاستهتار الى ان ظهرت الحضارة العربية فكان للطب منها نصيب وافر . ولقد اهتم الطب العربي بامر المولدة ، وعلّم القابلة اصول فن التوليد ( اقرأ الشرح في مقدمة ابن خلدون صفحة ٣٤٥ ) وكان الاطباء العرب اول من استعملوا الآلة اللاقطة ( الكلاليب ) لسحب الطفل عندما تتعسّر الولادة الطبيعية .

ومع انبلاج فجر النهضة في القرن السادس عشر عادت

المدنيّة الحقّة ، واخذ العلماء والمنقّبون ينبشون ما اختفى وطمر من العلم اليوناني والعربي ويزيدون عليه من بحوثهم وتجاربهم واختباراتهم ، واخذت العناية بالمولدة تتطور يوماً بعد يوم ، ولم يعد ينظر الى الولادة ككفّارة عن خطيئة ارتكبتها المرأة ، بل كبركةٍ خصّتها بها العناية . اما المزمور الحادي والخمسون القائل : « ها انذا بالاثم صورت وبالخطيئة حبلت بي امي » فقد اصبح بنظر العلم من الترهات المضحكة المحتقرة .

ويصحّ ان نسمّي العصر الحاضر بعصر الأم الذهبي . فقد بلغ الاهتمام بامر الولادة في ايامنا درجة فائقة خفّت معها اخطارها الى حدٍّ كبير ، ففتحت للمولدة دور التوليد والمستشفيات ، مستكملة الشروط العلمية والفنية ، بغية تخفيف اوجاع الأم وتجنب اشتراكات الولادة ، وصارت المرأة تؤمّ هذه الدور اذا ما شعرت باقتراب الحدث العصيب والسعيد معاً ، ومن لا تمكنها ظروفها من ارتياد المستشفيات اقامت في بيتها استعدادات كافية تؤمن لها سير الولادة السير الحسن والنتيجة المنشودة . وقد اخذت السلطات والحكومات توسع نطاق مشاركتها الاهلين في المحافظة على ارواح الامهات والاطفال ، وتبني المؤسسات الكبيرة

والخاصة لهذه المهمة الكبرى التي تقوم بها المرأة في الحياة الانسانية .

ان الولادة لحدث خطير في حياة المرأة . وهو حدث تقدمه المرأة شاهداً كلما ارادت ان تعبّر رجلها بما تتحمله من المشاق والاخطار . وانها لمحقة بذلك ومن الحيف ان ينكر عليها فضلها العميم .

واذا تركنا امر العناية بالمولدة في المستشفى للاطباء والمولدين فلا بدّ من ان نوضح بشيء من الاسهاب كيف يجب ان تتم الولادة في البيوت الخاصة وما يجب ان يهيأ من استعدادات تضمن سير الولادة سيراً موفقاً .

يجب ان يختار من البيت غرفة خاصة فسيحة ، تفرغ من اثاثها كله وتمسح ارضها بخرقة مبلولة بالماء دون ان تكنس منعاً لانتشار الغبار ، ثم يوضع في وسط الغرفة سرير او طاولة خشبية ممتد عليها فراش قاسٍ ، مغطى بمشمع فوقه شرشف ابيض نظيف ومكوي . على هذا السرير تضطجع المولدة ، وعلى طاولة بجانبه توضع جميع الاغراض المراد استعمالها اثناء الولادة . واليك قائمة بها :

بضع مناشف معقّمة . كمية من القطن المعقم . محلول

من احدى المواد المعقّمة كالليزول او غيره . خيط حريري لربط مصران الحلاص ( الوصلة ) . مقص وملقط معقمان . قليـل من صبغة اليود المخففة . شاش معقم .

هذا كل ما يجوز للقابلة استعماله في الولادة . وخير لها وللمولدة الاّ تجازف باستعمال الادوية والحقن العضلية او تحت الجلدية ، اذ كثيراً ما يسبب استعمالها لهذه المواد اضراراً . فلتترك هذه المداخلات الجريئة للطبيب رفعاً للمسؤوليـة وتجنباً للخطر .

اما القابلة فيجب ان تقترب الى الماخضة بثوب ابيض نظيف . وبعد ان تغسل يديها بالصابون والماء مدة عشر دقائق تغمسها مدة خمس دقائق ايضاً بالمحلول المطهّر الموجود لديها ، ومن المرغوب فيه ان تلبس كفي كاوتشوك معقمين . وعليها ان لا تمسّ اعضاء المولدة إلا بالشاش او القطن المعقم او المغليّ . وعلى القابلة عند ابتداء المخاض ان تحمّم الماخضة وتنظف اسفل الامعاء بواسطة حقنة شرجيـة ، ثم تنظف الأعضاء السفلية على مساحة واسعة بالصابون والماء بعد ان تزيل الشعر ، وتمسح هـذه الناحية بمحلول مخفف من صبغـة اليود او محلول آخر يقوم مقامه . وبعد هـذه التحضيرات تجلس امام الماخضة ، وتتركها وشأنها دون ان

تتدخل بفحصها وادخال اصابعها فيهـــا . فهذه المساعدات لا لزوم لها . فاذا كان سير الولادة طبيعياً وتوجيه الطفل كذلك ، فلتنتظر فعل المخاض لاتمام الولادة . ان الطبيعـة تفعل أكثر مما يفعله الاطباء والقوابل . حتى اذا ظهر رأس الطفل استقبلته القابلة موجهة عناية خاصة لعدم تمزق العجان. وبعد ولادة الطفل تنتظر خروج المشيمة بدون ان تشد المصران او تسحبه . هذه هي وظيفـة القابلة التي لا يجوز ان تتعدّاها ابداً . ان وظيفة القابلة هي ان تقتبل الطفل ، ومن وظيفتها هـذه اعطيت اسمها . فاذا ما « تحشّرت » لأكثر من ذلك كان ذلك تجـاوزاً منها يعاقبها عليـه القـانون عند حصول اي ضرر . فاذا رأت ان الولادة تستوجب مساعدة اكثر مما ذكر ، فعليها استدعـاء طبيب اخصائي في التوليد ليعمل ما يجب عمله ويتحمل مسؤولية عمله.

## هل يعطى طعام للحامض اثناء الولادة ؟

قد يطول المخاض ، وفي اثنائه لا بد من اعطاء غـذاء للمولدة . ويجب ان يكون هذا الغذاء خفيفـاً وقابلاً للهضم الذي يتأثر من آلام الوضع . قليل من الحليب مع القهوة ، او من الشوربا والفاكهة او عصير الليمون . ومما يستلفت النظر ان الماخضة كثيرة القيء سريعة الاستفراغ .

على القـــابلة ان تعرف متى تصبح الولادة متعسرة ، فتخرج اذ ذاك عن نطاق عملها وتستوجب استدعاء الطبيب . واني سأبين فيما يلي هذه الحالات :

اولاً – طول مدة الولادة . اذاً يجب تحديد المدة الطبيعية . وهذا التحديد يخضع لعـدة عوامل كحالة المولدة الصحية ، ومدى طلق الرحم ، وعمر الماخضة وما اشبه ذلك من مؤثرات خاصة ، غير انه لا بد من وضع قاعدة ، او شبه قاعدة ، تتخذ اساساً للحـكم على كون الولادة خرجت عن الحد الذي يجوز اعتبـاره طبيعياً . وهنا يجـدر بي ان اقسم المولدات الى قسمين : القسم الاول يشمل المولدات « الباكرات » اي اللواتي يلدن للمرة الاولى . والقسم الثاني يشمل « الولودات » اي اللواتي ولدن مرة او مرات قبل الولادة الواقعة .

ففي الباكرات تأخـذ الولادة وقتاً اطول ممـا تأخذه في الولودات ، لان صلابة الانسجة الرحمية في عنق الرحـم تؤخر توسعه كما ان ضيق المهبل وصـلابة

العجان لا تمكن الطفل من الخروج الا بعد ان تكون تقلصات الرحم وسير الولادة فعلت فعلها الكافي في التوسع المطلوب . فاذا كانت الولادة طبيعية ، واذا كان توجيه الطفل طبيعياً وحجمه غير متزايد ، واذا كانت اعضاء الأم مرنة ، فثماني ساعات الى اثنتي عشرة ساعة تعتبر مدة اعتيادية . اما في الولودات فاذا تجاوز الوقت الست ساعات فللتأخير سبب يستلفت نظر القابلة .

ثانياً – ارتفاع حرارة المولدة .

ثالثاً – ضعف نبض الجنين . ولمعرفة ذلك يجب الاستماع الى نبضات قلبه مرة كل خمس دقائق .

رابعاً – ظهور نزف رحمي او مهبلي .

خامساً – توجيه غير طبيعي كالتوجيه الخلفي او توجيه الكتف او اليد او اي توجيه غير التوجيه الرأسي الشمالي الخلفي .

سادساً – الولادة الناشفة اي الولادة التي يكون مضى فيها ساعات عديدة على انفجار كيس الماء .

سابعاً – ضعف الطلق وعدم تقدم الولادة .

ثامناً – ظهور اعراض غير طبيعية في المولدة ، موضعية كانت أم عمومية .

تاسعاً – تأخر نزول المشيمة الى اكثر من نصف ساعة بعد ولادة الطفل او حدوث نزف قبل نزول المشيمة .

عاشراً – تمزق العجان بسبب الولادة .

ان عسر الولادة على انواع شتى . فمنه ما يكون خطره قليلاً ، ومنه ما يستوجب التدارك السريع ، ومنه ما يستوجب اهم العمليات واخطرها . ولذلك يجب لدى ظهور اية اشارة استدعاء طبيب اخصائي لمساعدة المولدة بالطرق العملية اللازمة . ان الولادات الكثيرة التعسّر والتي تستلزم المداخلات الخطرة قليلة جداً والحمد لله . غير ان الخطر السريع الذي يحدق بالمولدة يدعو الى التحفز والاستعداد للطوارىء لدى ظهور اية صعوبة على الاطلاق . ان المفاجآت التي قد تحدث اثناء الولادة هي اكثر سرعة من اية مفاجأة تحدث في الحقل الطبي والجراحي . فالنزف اثناء الولادة او بعدها ، والصدمة القلبيّة ، والجلطة الدموية الى آخر ما هنالك من اختلاطات سريعة وخطرة قلما تجد ما يفوقها او يماثلها سرعة في اي فرع من فروع الطب غير التوليد . ولهذا يجب على الطبيب المولّد كما على القابلة ان يكون

متبصّراً متيقظاً ومستعداً للقيام بالسرعة اللازمة تجاه هـذه المفاجآت . ان عـلى الطبيب المولّد مسؤوليتين : الاولى تتعلق بحياة الأم ، والثانية تتعلق بحياة الطفل ، بينما مسؤولية زميله غير المولّد محصورة في جهة واحدة .

## بعد الولادة

على اثر ولادة الطفل وخروج المشيمة تعاين المولدة بدقة ، حتى اذا كان حدث تخديش او تمزق في العجان عولج ذلك حسب مقتضى الحال . واذا كان من لزوم لتخييط الجروح استدعي الطبيب ليقوم به . وبعد معاينـة المشيمة والتيقن من كونها كاملة صحيحة تغسل اعضاء المولدة بمحلول مطهّر ويوضع عليهـا الشاش المعقّم والقطن ثم تزنّر بزنار بطني وتنقل الى فراشها لترتاح بعد هـذا النضال العنيف الذي قامت به .

والواجب يقضي على القابلة ان تضع في عيني الطفل ساعة ولادته نقطة من محـلول نترات الفضة بنسبة اثنين في المائة درءاً لخطر الالتهاب الصديدي الذي يصاب به فيما اذا كانت الأم تحمل جرثومة السيلان . ولما كان الوثوق من وجود هذه الجرثومة او عدمه غـير مضمون فان هـذا

الاحتياط اصبح واجبا تقليدياً دائماً . ثم تربط الوصلة على بعد اربعة سنتيمترات من السرّة بخيط حريري معقّم ويلف الطفل بألبسته .

## النفاس

هو المدة التي تلي الولادة . وهي تبتدىء على اثر نزول المشيمة من الرحم ، وتدوم ما دامت المولدة لم ترجع الى حالتها العادية قبل الولادة ، من حيث التغيرات التي طرأت على جهازها التناسلي . والعامة تحددها باربعين يوماً . ومن هذا التحديد انبثق الدعاء في تهنئة الوالدة « ان شاء الله تكملين اربعينك بخير » . ومنهم من يحددها بالمدة التي تقضيها الأم في الفراش بعد الولادة . وهذا خطأ ، اذ ان هذه المدة تختلف باختلاف حالة الأم الصحية والمادية وظروفها البيتية والعائلية . ومنهم من يحدد النفاس برجوع الرحم وبقية الاعضاء التناسلية الى حالتها العادية قبل الحبل . وهذا برأيي اقرب الاوضاع الى التحديد الفني . وقد تطول هذه الفترة او تقصر فيما اذا كان النفاس سليماً او معتلاً ، وفيما اذا حدثت طوارىء جعلت من الولادة عملية عسرة ، ومن النفاس مرضاً خطراً .

ويقصد بالنفاس كما قلنا رجوع الاعضاء التناسلية بعد

الوضع الى الحالة التي كانت فيها قبل الحبل . فالرحم مثلاً، اثناء الحبل ، تتضخم ويكبر حجمها فيبلغ الخمسة والثلاثين سنتيمتراً ، ولربما يزيد عن ذلك ، بينما لا يزيد عن سبعة سنتيمترات قبل الحبل . وبينما لا يتسع جوف الرحم في غير مدة الحبل لقبول اكثر من خمسة سنتيمترات مكعبة من الماء تصل قوة استيعابه اثناء الحبل الى خمسة ليترات او اكثر ، لا سيما في الحبل بتوائم . فهذه الحالة التي تعتري الرحم على اثر الولادة ، ان كان من جهة التضخم او توسع الجدران وما يرافقه من توسع الاوردة الدموية ، تجابه المرأة باخطار تقل او تكثر بالنسبة للمؤثرات الخارجية والحالات الداخلية والعناية المبذولة لها . ومهما يكن من امر فالنفاس يوجب الحذر والاعتناء منعاً لما قد ينتج عنه من الاخطار.

وفي الحوادث الطبيعية يجب ان تمرّ مدة النفاس بدون اي ارتفاع في حرارة الوالدة . ولا عبرة في القول ان « دور » الحليب لا بد منه . فادرار الحليب لا ترافقه حرارة قط . وكل حمّى تصيب النفساء هي غير طبيعية ، وتكون مسببة اما عن تعفنات نفاسية او معوية ، والثانية تكثر في النفاس مما جعل العامة تتبع عادة اعطاء النفساء مسهلاً في اليوم الثاني او الثالث بعد الولادة .

غير انه من الخطأ ان يسمّى كل ارتفـــاع في حرارة النفساء حمّى نفاسية . فكثيراً ما تكون هذه مثلها في اي شخص آخر ، وعلى الطبيب ان يدقق جيداً في سبب الحمّى ليكون على بيّنة من معالجتها ولا يلقي الذعر في نفس المريضة واهلها . ومما يجب ملاحظته ان النفساء سريعة القبول للوافدة ، كالانفلونزا وابي الركب ، وما شاكل ، فيقتضي اذاً ان يمنع الدخول الى غرفتها في الايام الاولى منعاً باتاً كي لا تصاب بعدوى ، خصوصاً عنـد وجود اي وباء في محيطها . ثم ان هناك ملاحظة خبرتها ، وهي ان النفسـاء اذا كانت اصيبت في ماضيها بحمّى الملاريا ، ولو كانت شفيت قبل الحبل ، فهذه الحمّى تجـد في النفاس تربة صالحـة . وكلما كان زمن اصابتها بالملاريا قريبـاً من زمن الولادة ، اسرعت هذه بالفتك بهـــا . وفي هذه الحالات يجب التحفظ لهذا الحدث باعطاء الحامل الكينا الواقيـــة واستمرار ذلك اثناء النفاس .

## حمى النفاس

هي الحالة المرَضيّة المخيفة التي قد تعتور النفساء بعد وضعها اما فوراً او بعـد مضي بضعة ايام . مصدرها التهـابات او تعفنات طارئة في الجهـاز التناسلي مسببة عن دخول جراثيم

عفنة كالجراثيم السبحيّة Streptococcus او الجراثيم العنقودية Staphylococcus . وهـذه الالتهابات تبتدىء غالبـاً في المهبـل ثم تسري الى الرحم ، ثم الى اقنيـــة فيلوب والمبيضين والبريتون واكثر الاعضاء في اسفل البطن . فاما ان تبقى هـذه الالتهابات موضعية واما ان تكون سبباً لايصال التسمم الى الدم ، فيحدث التسمم العمومي . وقد يتمركز هذا احياناً في القلب او الرئة او الدمـاغ او الكبد فتتعرض المرأة لخطر الموت .

وفي العصور الاولى كانت حمّى النفاس من اكثر الاسباب شيوعاً في موت الامهـات ، وذلك عندمـا كان الاطباء والقابلات يتعاطون عملهم غير آبهين لضرورة استعمال الوسائل التنظيفية او التعقيمية ، وقبـل اكتشاف الجراثيم وحقيقة العدوى ، عندما كان القوم في جهلهم ينسبون هذه الحمّى ، كما كانوا ينسبون غيرها الى الهواء او الى الارواح الشريرة ، او الى آثام المرأة وخطاياها . وقـد كانت ضحايا هذه الحمّى تبلغ نسبة مئوية مخيفة طالما وصلت الى الثلاثين بالمائة او اكثر من المولدات . فلا عجب اذا تخوفت النساء من الحبل والولادة . هي حمّى النفاس بعبع النساء في تلك الايام .

وعلى عكس ايامنا هذه ، فقد كانت ضحايا النفاس في الامهات اللواتي يلدن في المستشفيات اكثر كثيراً من اللواتي يلدن في بيوتهن ، اذ ان المستشفيات كانت تؤوي المولدات كما تؤوي المصابات بالامراض السارية والحالات العفنة ، جنباً الى جنب . وكان الطبيب ينتقل بدون حذر البتة من مصاب الى مصاب او الى مولدة ، يضمد جرحاً عفناً ، ثم يتولى تشريح جثة نتنة ، ثم يقوم بعملية توليد ، وهذا كله دون ان يكلف نفسه غسل يديه مما علق عليهما من صديد او اوساخ .

هذه كانت حالة المولدات والنفاسى قبل مائة سنة فقط او بالحري قبل ثمانين سنة . ويرجع الفضل في تنبه الفن الى هذه الكوارث الى طبيب نمساوي الاصل اسمه Simelweiss . فقد هال هذا الطبيب الفتى امر الامهات الضحايا واخذ يفكر فيما عسى ان يكون سبب هذه الاصابات المميتة ، ولم يستطع هضم فكرة الارواح الشريرة او الآثام المرتكبة من قبل المرأة . وتساءل لماذا تكثر حوادث الموت في المولدات في المستشفيات ودور التوليد وتقل في اللواتي يلدن في بيوتهن ودون اي تدخل من احد . فاستنتج من درسه واختباراته ان حمّى النفاس تنتقل عن طريق العدوى ،

وانها تسمّم ينتقل من نفساء مريضة الى نفساء سليمة عن طريق الانتان وبواسطة الاطباء والقوابل الذين لا يعنون بالنظافة . ثم اخذ يعظ زملاءه وأتباعه بنظرياته ، واوجب على مساعديه والذين يشتغلون تحت ادارته ان يغسلوا ايديهم ، ثم يغطّسوها بماء الكلس قبل اقدامهم على توليد امرأة او معاينة مولدة ما .

ثار على Simelweiss معاصروه من اطباء وكهّان ومتزعمين ، ورذلوه ، واضطهدوه ، فاضطر المسكين الى هجر « فينّا » والتجأ الى « بودابست » حيث لم يكن نصيبه من الاضطهاد اقل . غير انه بعد مدة رجع الى مقر عمله الاول ، وانصاع اليه بعض الاطباء . وكان قد قام في بلاد الانكليز طبيب جرّاح اسمه Lister ، يبشر بالنظافة في الاعمال الجراحية منعاً للتعفن والانتان . ولم تلبث ان ظهرت اعجوبة « باستور » فقلبت وجه العلم واظهرت صواب نظرية Simelweiss و Lister . ومن ثم تدرّج العلم الى كشف الحقيقة من مخابئها . وها نحن اليوم نقطف ثمار الجهاد الذي قام به اولئك الابطال الذين حاربوا الموت ، وانتصروا على الجهل وعلى العقائد الجانية . اولئك الابطال تخلد اسماؤهم الى مدى الدهور . قد ينسى العالم يوماً اسماء

« نابليون » و « الاسكندر » و « هنيبال » ولكن اسماء « باستور » و « لستر » و « سيميلويس » تبقى خالدة فخراً للتاريخ ، وللعلم ، وللانسانية .

وقد قلّت والحمد لله اخطار التسمّمات النفاسية ، خصوصاً في المدن والبيئات المتقدمة ، وذلك لما يبذل من العناية بالمولدة ، وبالنظر للوسائل الفنية التي هيأها العلم وتمشى عليها الاطباء وكل اصحاب العلاقة في الامر . فعندما يعرف الناس ان حمّى النفاس سببها الجراثيم العفنة التي تدخل الى اعضاء المولدة على يد القابلة ، او بواسطة الاغراض غير المعقّمة كالمناشف والشراشف والاواني ، وعندما يعرفون ان اعضاء المولدة التناسلية هي معرّضة لاقتبال الجراثيم ، عندما يعرفون هذه الامور ، يرون ان من اللازم اتخاذ جميع التدابير الضرورية للوقاية ، وهذا اقل واجب مفروض تجاه الأم التي تعطي العالم وليداً هو بهجة الحياة ومحط آمال المجتمع .

فلتحرص سيدتي على نفسها في اثناء الولادة وفي مدة النفاس . ولتقفل بابها بوجه زائريها وزائراتها لا سيما في الاسبوع الاول بعد ولادتها . ولتحذر اللواتي يأتينها مهنئات ، ولتحترس من تقبيلهن لها ولوليدها ، فطالما كانت قبلاتهن والغلو

في اظهار شعورهن مصدر محنة لها . ولتلزم النفساء فراشها اسبوعين كاملين ، وتستطيع بعد هذه المدة القيام بواجباتها اذا مرّ الاسبوعان دون طارىء قط .

وعندما تصاب النفساء بالحمّى النفاسية فاول واجب عليها استدعاء الطبيب الخبير ليتولى معالجتها . ومن حسنات التقدم العلمي ما وضعه هذا بيد الاطباء لمعالجة حمّى النفاس ، وأهمه على الاطلاق « البنسلين » . على ان البحث في امر المعالجة اتركه للكتب الطبية البحتة . كل ما اريد لفت النظر اليه هو ان هذه الحالة هي من اشد الامراض خطراً على المرأة ، واستدراكها هو من اوجب الواجبات .

## الرضاعة

هي اشرف حلقة من حلقات الامومة . بها تفخر المرأة ، وبواسطتها يظهر عطفها ومحبتها وحنانها وتضحيتها في سبيل وليدها . لا كبير فضل للأم بالحبل والولادة . ان هذين الحدثين في حياتها يأتيان نتيجة زواج تطلبته طبيعتها ، فارادته هي ، وسعت اليه ، وكان دائماً قبلة آمالها واحلامها . ومهما قاست الأم من تحمّل هذين الحدثين ، فهي بذلك تدفع ثمن الزواج وملذاته لتشتري بهجة الامومة وسعادتها .

ان فضل الأم يتجلى بالرضاعة وبالصدوف عن المسرات الاجتماعية وبتكريس نفسها للعناية بمولودها وتغذيته . اما الأم التي تنفر من ارضاع طفلها لانها لا تريد ان تتحمل مضض الرضاعة ، وتخشى ان يفقدها هذا الواجب اناقتها ولباقة جسمها ، او تصدف عنه لكي لا تضيع عليها اوقات مرحها ولهوها ، فهي جانية مجرمة . واي جناية افظع من ان تترك الأم طفلها يمتص حليب امرأة مجهولة ، لا تعرف من امرها ، ولا من امر طفلها ، ولا من امر زوجها شيئاً ، وهي بدلاً من ان تغذيه من ثديها ، تبتاع له ثدياً غريباً ، ربما كان ، وكثيراً ما يكون ، سبباً لقصف حياته او لزرع مرض في جسمه ، هو اثقل عليه وعلى ذويه من الموت . ان حليب الأم ملكٌ لطفلها ، اذا حرمته اياه فكأنما سلبته حقه ، فهي تجني عليه .

ولا بد من الاشارة الى امر قد يغرب عن بال الامهات . ان الرضاعة الأميّة هي العامل الاكبر في تقوية عاطفة الحنو في الام تجاه وليدها . ولهذه الملاحظة تفسير علمي لا شك بصحته . ان الأم كلما ضمت رضيعها الى صدرها ، واخذ هذا ثديها ، يمتص منه القوت لحياته ، تشعر برعشة تختلج في جسمها ، وتثير انفعالاتها ، وتهيج بالتالي غدد الحليب في

الثـدي ، فيكثر افراز تلك الغدد ، ويتدفق منهـا الحليب الى فم الطفل . وتتكرر هذه الرعشة الانفعالية ما دام الرضيـــع يمتص الثـــدي ، فتشعر هي بعاطفـة ممتلئـة حناناً وانبساطـاً عـــلى اثر هذه الاختلاجات المكهربة التي تتغلغل في جسمها . والأم التي تحرم رضيعها من حليبها ، وتحرم نفسها من هذه الاختلاجات ، تفقد كثيراً من حنوها على طفلها . اذاً على الامهات ان يغذين اطفالهن من حليبهن فيغذين معه حنانهن عليهم .

من يغرس حنواً يحصد حبـــاً . والام التي لا تغرس الحنو مع الرضاعـة ، ليس من حقهـا ان تتطلب المحبـة والاخلاص من ولدها يوم يكبر هو وتصير هي بحاجة اليه حاجته اليها وهو رضيع . ان الجمال والعطف والتضحيـة امور تتجلى في أم تضم الى صدرها رضيعاً تغذيه وتقدم له اكسير الحياة ، وقد وصفها الشاعر بقوله :

« وما حمامة روضٍ حوّمت وهوت
على صغارٍ سرى من حولهـا النسمُ
ألقت بقوت الى فرخٍ هنـاك وقد
حنت عليـه قليلًا وهـو معتصمُ

يوماً بأجمل من أمٍّ يعانقها
طفلٌ فيرضع حيناً ثم يبتسمُ »

وللرضاعة الأميّة منافع تصيب الطفل ومنافع تصيب الام ايضاً . فمنافعها للرضيع هي ان حليب الام هو المغذي الافضل لرضيعها ، اذ ان الطبيعة تكوّنه وتكيّفه ليسد حاجة الرضيع في مختلف ادوار حياته الرضاعية . فحليب أم وضعت من بضعة ايام او اسابيع يختلف عن حليب أم ثانية مضى على وضعها عدة اشهر . وحليب أم فتية غير حليب أم متقدمة في السنّ . وهكذا يختلف الحليب باختلاف الاجسام والاعمار والمدة التي مضت على الوضع وهلمجرّا . فكيف تريدين يا سيدتي ان يرضع طفلك وهو ابن بضعة ايام فقط حليب مرضعة ازمنت في الارضاع فتكيف حليبها لحاجة طفل يزيد ابنك بشهور ؟

وهناك نقطة ثانية جديرة بالاعتبار ، وهي ان حليب الأم ، وخصوصاً المادة الصمغية التي يفرزها الثديان في الايام الاولى بعد الولادة ، تعطي الطفل مناعة ضد الامراض التي يتعرض لها هذا المخلوق المحبوب في طفولته . ولا بد ان كثيراً من الامهات يلاحظن ان نوعاً من الحمّى المرتفعة قد تنتاب الطفل في اليوم الثاني او الثالث . فهذه الحمّى وقد

سموها « حمّى الجوع » هي في الحقيقة حمّى ميكروبية مثل كل الحمّيات ، واحسن شافٍ لها هو ارضاع الطفل حليب امه فيأخذ مع الصمغ دواءه الشافي . وقليلاً ما تحدث هذه الحمّى للرضّع الذين يرضعون ثدي امهاتهم في ايامهم الاولى . والامر الثابت علمياً ان في الرضيع مناعة خاصة ضد الحمّيات الوبائية التي تصيب الاطفال ، كالحصبة والجدري والشهاق والحمّى القرمزية وغيرها ، وما مصدر هذه المناعة الا حليب الأم . فلماذا تريدين ، او بالاحرى كيف تتجرأين يا سيدتي ان تحرمي رضيعك من هذه الاسلحة الواقية التي هيّأتها له الطبيعة الخلاّقة ؟ اليس في ذلك ذنب تقترفينه تجاه احب الناس الى قلبك ؟

واريد ان تعلم الأم ايضاً ان ارضاعها لطفلها له منافع خاصة بها اذا حرمت نفسها منها اختياراً لن تسلم من عاقبة هذا الحرمان . من هذه المنافع ان الرحم في النفساء تتقلص شيئاً فشيئاً الى ان ترجع الى حجمها الاصلي قبل الحبل . فاذا تمّ هذا التقلص على الوجه الاكمل عادت الرحم وبقية اعضاء الجهاز التناسلي الى طبيعتها ووظيفتها . واذا طرأ ما يسبب وقف هذا التحوّل ، بقيت الرحم في حالة تضخم وتصلب مما نسميه في لغة الطب Subinvolution . ومتى

علمت سيدتي ان الرضاعة هي من اقوى العوامل المساعدة على تقلص الرحم وارجاعها الى حالتها الطبيعية ، أيقنت أي ضرر تعرض نفسها له بامتناعها عن الرضاعة . وفي الاحصاآت الطبية ان التليّف والتصلب في الرحم يكثر وجودهما في النساء اللواتي لم يرضعن اطفالهن . اذاً لتحافظ السيدات على اطفالهن وعلى انفسهن بواسطة الرضاعة ، ولا يستسلمن لعجرفة المدنية الزائفة الهدامة فيسئن الى فلذات اكبادهن والى انفسهن على السواء .

اما وقد اطلت الشرح عن وجوب الرضاعة الأميّة ومنافعها ، فلا بدَّ لي من ان اقول انه قد توجد حالات استثنائية تقضي بمنع الأم عن القيام بهذا الواجب المقدس . فاذا كانت الأم مصابة بمرض السلّ ، او بمرض القلب المتقدم ، او بالسرطان ، او بأحد الامراض المنهكة ، وجب على الطبيب منعها عن الرضاعة . وبكلمة اخرى تمنع الرضاعة الأميّة كلما وجد انها تشكل خطراً على حياة الأم او الرضيع . وفي هذه الحالات يؤتى للطفل بمرضعة غريبة ، او يوضع على الرضاعة الاصطناعية ، واولى الاثنتين افضل اللهمَّ متى كانت مستكملة الشروط الصحية وغيرها . واني اذكر فيما يلي اهم هذه الشروط :

اولاً ـ ان تكون المرضعة قوية البنيـة ، وقادة الذهن ، نشيطـة الحركة ، لا تتجاوز الثلاثين او الخامسة والثلاثين من عمرها ، صبورة على المتاعب والتربيـة بحيث لا تكون فقط حيواناً مرضعاً بل مربية صالحة وامّاً ثانية .

ثانياً ـ ان لا يتجاوز الفرق بين عمر الطفلين ( اعني بهما ابن المرضعة والرضيع الغريب ) الشهر او الشهرين او الثلاثة على الاكثر .

ثالثاً ـ ان تعاين المرضعة قبل ان تتسلم رضيعاً غريباً من قبل طبيب ليرى اذا كانت صحيحة الجسم خاليـة من اي مرضٍ معدٍ او وراثي ، ويجب قبـل كل شيء ان يجري عليها تفاعل « وسرمان » للتثبت من عدم وجود اي اثر للزهري . اني اشعر بقشعريرة تهزني كلما خطر ببالي طفل عاينته مرة فاذا هو مصاب بهذا المرض الخبيث ، وقد انتقل اليه من مرضعة مصابة به . فماذا جنى هذا الطفل ليحكم عليه بالعلة وقد ولد صحيحاً فاذا بوالديه المجرمين يلقحانـه بالمرض ؟ أيوكل امر قصاص هذين الوالدين الى القدر وحده ؟ اليس للمجتمع البشري حق في مقاضاة هذه الجرائم ؟

رابعاً – ان لا تكون المرضع حاملاً .

خامساً – كما انه يقتضي ان تكون المرضع خالية من الزهري هكذا يقتضي ان لا ترضع مرضعة سليمة طفلاً وارثاً لهذا المرض عن ابويه ومصاباً به لكي لا يكون واسطة لنقله اليها . فالواجب اذاً ان يرضع طفل مصاب بهذا المرض من ثدي امه او يعطى رضاعة اصطناعية كي لا يلقح مرضعة بريئة ما ذنبها الا انها تبيع ثديها وحليبها بدرهم تعيش به مع عائلتها .

## الرضاعة الاصطناعية

اذا تعذرت الرضاعة الأميّة للاسباب المذكورة اعلاه ، واذا تعذر ايضاً الاتيان بمرضع توافق الطفل ، فعندئذ يرجع الى الرضاعة الاصطناعية .

والرضاعة الاصطناعية تستلزم العناية الفائقة لما ينجم عنها من الضرر ان لم تتبع معها التعليمات والوسائل الفنية من حيث نوع الحليبْ وتعقيمه وطريقة اعطائه للطفل، وعلى الأم التي قدر لطفلها ان يتغذى بواسطة الرضاعة الاصطناعية ان تعلم ان مهمتها شاقة ومسؤوليتها كبرى ، فواجبها اذاً ان تتجرد للقيام بها لتكفل لطفلها الصحة والسلامة .

ان في الاسواق التجارية كثيراً من مستحضرات الحليب الاصطناعي المحضّر . وقد تفنّن مستحضروها في تركيبها وتحضيرها فاصبحت سوقاً للمزاحمة التجارية . والأم في حيرتها بين هذه وتلك تريد لصغيرها احسن ما يؤمن له التغذية والصحة . والمشيرون والمستشارون كثيرون . غير ان الطفل الذي يحرم من الرضاعة الأميّة يجب ان يوضع تحت عناية الطبيب الخبير ليصف له نوع الحليب الذي يجب ان يعطاه وطريقة تعقيمه وكيفية استعماله وساعات الرضاعة والكمية المعطاة في كل مرة . كل هذه التعليمات ينبغي ان تؤخذ من الطبيب المراقب الذي يعاين الطفل ويتعرف الى مزاجه وقابليته ويراقب نموّه وتطوراته .

وبرأيي ان افضل انواع الحليب حليب بقرة صحيحة الجسم . ولا يفضله إلا حليب الدابة ، وذلك لكونه الاقرب تركيباً الى حليب الأم من حيث نسبة مواده الغذائية . غير ان صعوبة ايجاده وغلاء اثمانه يجعله خارجاً عن البحث . اما حليب البقرة فيقتضي له بعض التعديل ليصير مماثلاً الى حدٍّ ما لحليب الأم . فحليب البقرة اغنى بالمادة الدهنية وبالمادة الآزوتية ، وافقر بالسكر . اذاً يجب ان يخفّف بزيادة كمية من الماء المعقم تنقص او تزيد بالنسبة

لعمر الطفل ، ثم يزاد على المزيج نسبة من سكر الحليب . وتسهيلاً لمهمة الامهات أقدم انموذجين من مزيج حليب البقر لتتخذهما اساساً تسير عليه في تغذية طفلها . غير ان هـذا الاساس ليس قاعدة مطلقة ويجوز تحويره حسب حالة الطفل واشارة الطبيب .

للطفل دون الستة اسابيـع :

| | |
|---|---|
| حليب | ٧٥ غرام |
| ماء | ٦٠ » |
| ماء الكلس | ١٥ » |
| سكر الحليب | ١٠ » |

هذه الكمية تشكل وجبة واحـدة ويعطى الطفل ست وجبات في اليوم .

للطفل بين الستة اسابيع والثلاثة شهور :

| | |
|---|---|
| حليب | ١٢٠ غرام |
| ماء | ٦٠ » |
| ماء الكلس | ٢٠ » |
| سكر الحليب | ١٠ » |

هذه الكمية تشكل وجبة واحدة ويعطى الطفل ست وجبات في اليوم .

اما للاطفال الذين يزيد عمرهم عن الثلاثة اشهر فتزاد كمية الحليب وتنقص كمية الماء تدريجاً الى ان يعطى الحليب صرفاً بعد الشهر الخامس .

انما اهم واجب في التغذية الاصطناعية تعقيم الحليب . فالحليب الذي يعطى للطفل يجب ان يكون معقماً كي لا يأخذ الطفل مع غذائه جراثيم خبيثة . وافضل طرق التعقيم الغليان ، غير ان هذا يحرم الحليب من الفيتامين وبالتالي من مواده الغذائية ، ولهذا يفضل على الغليان التعقيم على طريقة « باستور » ، وهي ان يغلى الحليب الى درجة ٦٥ — ٧٥ درجة سنتيغراد لمدة نصف ساعة ، ثم يبرد دفعة واحدة الى الدرجة العادية . وفي الاسواق اجهزة مختلفة للتعقيم على هذه الطريقة . انها واسطة تكفل قتل الجراثيم الخبيثة بدون ان تحرم الحليب من الفيتامين اللازم للغذاء .